حواء والعذراء مريم

للقديس يعقوب السروجى

حـــــواء :

ويلك يا حواء إتكلت على من يغشك أيتها الحمامة الطفلة لماذا تظهرين للحية سرك ..
أيتها التى بغير قلب لماذا تتفاوضين مع الحية الجرداء يا مضطربة العقل ..
كان ينبغى لحواء أن تميز سماع كلام الشيطان وبالسؤال تتعلم حقيقة الخبر ..
سمعت حواء باضطرابها كلام الحية وبرخاوتها قبلته لما كذب عليها ..
لو تدارست الأمر لم تكن لتنغلب من الماكر ، ولما كانت تمكر هى أيضاً بآدم وتسقط معه ..
لولا أن حواء صارت أخبث جداً من الحية لم تزاحم أن تصعد لعلو اللاهوت ..
كان يجب لحواء أن ترد عليه بعد كلامه أن من أين لك ان تظهر سر اللاهوت ..
إن كان الأمر هكذا كما تقول ، لماذا لم تأكل أنت أولاً من الشجرة وتصير إلهاً ؟ ..
حواء لو فكرت ما كانت تضل من العدالة ..
هدمت السياج الذى كان مبنياً من الناموس ونظرت أن تسير بلا فريضة ..
تشوقت بالحقيقة إلى الشجرة ، وصارت عندها جميع الأشجار التى فى الفردوس حقيرة ..
إشتهت حواء ثمرة الموت التى فى الشجرة ولم تمل إلى نظر حسن الفردوس ..
تقدمت لتصير هناك كاهناً بسرعتها وهى تمد الثمر لرجلها من الشجر ..
ولما إنغلبت حواء لم تسقط هى بغير شريكها ..
أعطت لآدم وأكل هو أيضاً من الشجرة وبمساواة أسرعت الفضيحة وأدركتهما ..
ولما تقدمت حواء وأكلت الثمرة بجسارتها رجعت فى خزى من الفعل الذى فضحها وهدمها ..

العذراء مريم :

مريم هى إبنة داود بالحقيقة لأنه ابن داود بالنسل الجسدى ..
حبلت ببطنك والبتولية بكل كيانك ، الحليب فى ثدييك ، وحضنك مختوم من الزواج ..
مبتعد منك الألم التابع للزواج وحالة فى بطنك ثمرة تفرح كل الأمهات ..
جسدك مقدس بالروح القدس ، وبطنك يحمل طفلاً محبوباً للولادة ..
سفينة غنية فيها أرسل كنز الآب إلى المكان المحتاج ليغنى المساكين ..
حملت الصبية الطفل القديم الأيام الذى أوجد آدم ..
الصبية صارت تابوتاً للاهوت سيد الأسرار حل داخلها ..
شابة بتول بغير التصاق الإشتراك حبلت وولدت الكلمة المبتعد من الزواج ..
البتول المرتفعة عن الزواج إختارها الكلمة ليشرق منها جسمانياً ..
لم تحتاجى إلى إشتراك لتكونى أماً لأن إبنك ربط الإشتراك فى جميع الأجناس ..
لم يتقدم لك رجل لتلدى منه لأن قوة العلى تثمر فى بتوليتك ..
لم يفسد الختم المحفوظ بشبابك لأن الإشراق النقى يشرق وينزك ويحل فيك ..
ليس حمل بطنها من زنى كما قد تظن لأن المولود منها هو المبطل فجور الأرض ..
من هى البتول التى تعطى الحليب إلاَّ مريم ..
البتول دعت يوسف البار بعلاً حتى شاء ابن الله ليظهر ذاته ..
ولأن جنس يوسف من بيت داود رأى ابن الله أن يصير خطيباً لإبنة داود ..

إندهشت مريم بكلام الملاك العجيب ولم تستطع إلا أن تسأل ..
زاحمت مريم لتتعلم الحكمة من الملاك لئلا ينحجب عنها تفسير الخبر ..
لم تستعجل مريم كمثل أمها حواء التى من صوت واحد صدقت وحملت الموت ..
أعطت مريم فمها وحينئذ أخذت الثمر فى حضنها ..
تفرح البتول إذ صارت أماً رغم بتوليتها !! ..